

خطبة الجمعة الثالثة في محنة غرداية اعتبار وتوبة واستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الكبير، المبدئ المعيد العزيز الغفور.
جعل الحياة ميدان عمل وابتلاء، والآخرة دار حساب وجزاء.
يصرف الأقدار كما يشاء، ويبلو عباده ليعلم الصادقين من أهل الادعاء.
حكمه فصل، وقضاؤه عدل، ورحمته فضل، فله الحمد والثناء بما جرت به المقادير.
سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ١٩ ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: ١٩ - ٢٠
ونصلي ونسلم على النبي الأمين، أرسله الله رحمة للعالمين، فكان قدوة للعاملين، ومنازة
للسائرين إذا أظلمت المسالك وحيرت المبصرين.
وعلى آله وصحابه الصادقين ومن اهتدى بهم وسار على درب اليقين، حتى يجمعنا بهم
ربنا مع عباده المتقين.
أحبة الإيمان، وأبطال هذه الديار، يا من ملأتم قلوبكم يقيناً بربكم، وعليه توكلتم في هذا
الإعصار، سلام عليكم بما صبرتم، ثقة بالله واستبشاراً بوعده الله للصابرين الأبرار:
﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٢ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ﴾ ٢٣ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤
أجل،

لقد كانت محنة بل إنها محن شداد، عصفت بالبلاذ، وزلزلت العباد، قدرها الله علينا
وابتلانا بها بلاء مبینا، وإنا بقضاء الله مؤمنون راضون يقينا.
وجميل بنا أن نستذكر في ليل البلاء رحمة الله، ونفزع إليه بخالص الدعاء.
وكذلك كان الأمر والله الحمد والثناء.

وما أشرف العبد أن يحظى بمعية الله عند التضرع والابتهاال، ويبشره بالنصر على الأعداء وبالفرج مهما اشتدت الأهوال.

أحبة الإيمان،

إن فجر الفرج في الأفق يرسل أشعة الأمل الباسم بإذن الله. وإن وعد الله حق ويقين بفضل الله. ولنا في سيرة الأنبياء أسوة ومنارة، بل إنها سنة الله لا تستثنى ولا تتحامل، ولا تحابي أحدا ولا تجامل، إنها سنة محكمة ماضية، جعلها الله فرن حرارة عالية، يصهر به إيمان الناس، ليجلو الأصيل من الدخيل، ويمكن للصادق عن جدارة واستحقاق، وتذرو ریحُ الفناء أهل الرياء والنفاق.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ٢١٤

صدقت ربنا الرحيم المجيب، ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

شبابنا ورجال أمتنا الصامدين، لقد ضربتم أروع المثل في التضحية في ساعات العسرة، وكانت مواقفكم نادرة عجيبة، فكنتم بدور أمتنا في لياليها الرهيبة، وبعثتم الأمل في مستقبل سيشرق بإذن الله بعد هذه المحنة العvisية.

فما ضرركم وضررنا أن يتبجح المعتدون بالسفك والعدوان، ويتشدد المفترون بالإفك والبهتان. ونؤوب بفضل الله طاهري الأيدي مرفوعي الرؤوس بشهادة القرآن: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَنُقَتِّلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ المائدة:

.٢٨ - ٢٧

سبحانك ربنا ما أعظم شأنك وأعز سلطانك، وما أحكم كتابك وأعدل أحكامك، فما ذكرت فيه القصص تسلية ولا عبثا، بل هو القصص الحق لمن أراد الله هدايته من عباده. إنهما أخوان من ولد آدم، أحدهما أخلص لله فتقبل قربانه، والثاني حرم التقوى فرد الله عمله. وما كان منه إلا التهديد بأبشع جرم وأفظع عدوان: لأقتلنك.

ولم يكن لأخيه من ذنبٍ إلا أن كان من المتقين.

ولا تبرير لهذا العدوان، إلا داء الحسد، وما أدراك ما الحسد. ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله.
انظروا معي رحمكم الله إلى سمو النفس وسلامة الصدر، وصدق النصيحة في هذا الأخ
المؤمن المتقي، وفي جوابه الصادق النقي: بيانا للحل ووصفا للدواء الشافي من هذا الداء:

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

خمس كلمات توجز الحل السحري لداء الحسد، وتمتع الإنسان بسعادة غامرة إلى الأبد.
اتق الله يتقبل منك، ويرفعك مقاما عليا، ونعيش بعدها إخوة متحابين سويا.
ولكن اللعين إبليس يقف بالمرصاد ليسول للإنسان سبيل الفساد، فزين لهذا الشقي فعلته،
وانطمست بصيرته، فسعى لتنفيذ جريمته الفظيعة. وشرع فعلا في فعلته الشنيعة.
ولم يفقد أخوه الأمل فأنذره بخطورة الموقف وفداحة العواقب، وأعلنها مبدءا ساميا خالدا
إلى يوم الدين: ﴿لَنْ يَسُطَّ إِلَيْكَ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ

المائدة: ٢٧ - ٢٨

وهنا يكون خيار العاقل لتحديد النتيجة وتقرير المصير، فمن كان حصاده من الأهداف
صفرا، فهو الرابح يقينا، لأنه اعتصم بخوف الله رب العالمين،
ولكن؛ وانتبهوا أحبتي إلى ما بعد لكن،
فيا ويح من سجل هدفا واحدا،
ويا ويله من عذاب يوم أليم، وكفاه وعيد الله وعذابه المهين:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ

وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣

لقد عصمنا هذا الوعيد، فلم تتلطح أيدينا بهذا الجرم اللعين، وإن كنا عن حرماننا
مدافعين. والشرع يقر دفع الصائل وإن أفضى به إلى هذا المصير، ولكن عصمنا الله بفضلته وعدنا
أصفارا من الإجرام، لم نحمل أوزار الانتقام، وآب البغاة بالآثام، وخزي الدنيا ولعنة رب الأنام.
اللهم احفظنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا رحيم يا رحمن.

أقول ما تسمعون، ويغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على كل حال، إلا حال أهل النار، والصلاة والسلام على سيد الأبطال، وإمام المتقين الأبرار، وعلى صحابته الأخيار.

أحبتنا وأهل الغيرة والوفاء.

أيقنوا مطمئنين، أن قصة الحياة منذ البدء إلى قيام الساعة، مختصرة في امتحان ساعة، وموضوعها صبر عن معصية أو على طاعة. وقد أوجزها الواحد الأحد، في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ^٤ البلد:

هذه هي الحياة الدنيا كما أرادها الله وشاء، دار اختبار وابتلاء. والتاجر اللبيب بين العقلاء، من فاز يوم الجزاء، ونجا من عذاب السعير: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ^٥ آل عمران: ١٨٥

ويا فرحة من نال تلك البشارة العظمى، حينها يحق له أن يتباهى فرحا ونعمى. وينسى كل تقلبات الحياة وما كان فيها من ألوان رخاء ونكبات. ويذكر حقا أنه ما فاتته من نعيم الدنيا نصيب، ولا ضره ما ناله فيها من هموم ولغوب.

أحبة الإيمان،

إن ما يضبط مسار الإنسان في الحياة، أن يلزم أمر الله لني الرحمة المهداة:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^٦ هود: ١١٢

إنه دستور جامع واضح، استقامة واتباع لأمر الله، وتوبة دائمة ورجوع إلى الله. والتزام بحدود الله دونبغي ولا طغيان، وحماية للحق ودفع للعدوان.

ويقين المؤمن أن الله يحصي ويعد، ولا يفلت من الحساب أحد، فلا خوف على عمل ينسى، أو حق يضيع، أو ظالم يفلت، أو مجرم يعلو على عقاب السميع البصير، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ﴾ (الأعام: ١٨)

اللهم إنا نضرع إليك في كل حين، ونتوب إليك في هذا البلاء المبين، أن تغفر لنا خطايانا ولا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بما كسبت أيدينا.

اللهم ارحمنا رحمة شاملة تظللنا بها وتبدلنا بعد خوفنا أمنا وهناء، وبعد شدتنا يسرا ورخاء. ربنا هذه حالنا وأنت أعلم بها منا، نتوب إليك وإن كنا في حقك مفرطين، فاشملنا برحمتك ولا تجعلنا من القانطين.

اللهم يا كاشف الضر ويا سامع النجوى، وعالم السر وأخفى، نضرع إليك أن تنجيننا من هذه المحن كما نجيت يونس من بطن الحوت، وأنقذت موسى في التابوت.

اللهم الطف بنا في هذه المحن الداهية، وأخرجنا من هذه الفتن المتوالية، وانشر علينا حلل الأمن والعافية.

اللهم إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي، ولكن عافيتك أوسع لنا يا أكرم الأكرمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل حياتنا زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ﴿ يا أرحم الراحمين.﴾

خطبة الجمعة. 06 ربيع الثاني 1435هـ - 07 فيفري 2014م